الباب الثاني

أبي القاسم الشابي و ديوانه بقافية الدال

في الباب الثاني ستبحث الباحثة ترجمة عن أبي القاسم الشابي. وينقسم هذا الباب إلى الفصلين ، الفصل الأول يبحث فيه حياة و نشأتها و الفصل الثاني يبحث فيه لمحة عن أبي القاسم الشابي.

الفصل الأول

لمحة عن أبي القاسم الشابي

مولده ونشأته

ولد أبو القاسم الشابي ، يوم الأربعاء في الثالث من شهر صفر سنة ١٣٢٧ هـ (٢٦- ٢- ١٩٠٩م) .[19] كانت ولادة الشابي ببلدة "الشابية" احدى ضواحي مدينة "توزر" كبرى بلاد الجريد بالجنوب التونسي. وهي بلاد جميلة فاتنة ، لما حوته من مناظر طبيعية رائعة. فهي واقعة بين بساتين البرتقال ، و وسط واحات شاسعة من شجر النخيل، ومن حواليها عيون ذات ماء زاخر عذب. وإلى جنوب الغربي من ذلك قتد الصحراء ذات الرمال الذهبية الحمراء، ومن جنوب الشرقي فالغربي يبدو شط الجريد بمائه الهادىء العميق، فيتراءى للناظر كبحيرة حالمة بآمال الاجيال واحداث السنين.[20]

وكان والده الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي، الذي يتحدر من أسرة الشابية، قد تخرج في الجامع الأزهر، بعد دراسة سبع سنوات، في أوائل القرن العشرين، ثم التحق بجامع الزيتونة في

---

[19] عمر الفروخ، المنهاج الجديد في الأدب العربي. (بيروت: دار العلم للملايين . الجزء الثاني). ص: ٣٦٨ .

[20] أبو القاسم محمد كر□و، الشابي حياته شعره. (بيروت: دار المكتبة الحياة. ١٩٣٠ م). ص: ٣٢

تونس، ونال في نهاية المطاف ماكان يسمى شهادة التطويع، ويعين قاضيا شرعيا متنقلا في المناطق التونسية. في هذه الأثناء كان أبو القاسم حديث عهد في هذه الدنيا، يتنقل برفقة والديه حيث يستقر بهما المقام، فلم ينعم في قضاء سنوات طفولته في بلدته التي ولد فيها.[21]

دراسته

تلقى أبو القاسم دروسه الأولى على يد والده بالدرجة الأولى، ثم أرسله إلى الكتاب في بلدة قابس، وفي الثانية عشرة من عمره، قدم إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م، حيث التحق بجامع الزيتونة للدراسة، حيث تهيات له الفرصة الحقيقة من أجل التحصيل العلمي وخصوصا العلوم الدينية، فقضى سبع سنوات يدرس ويطالع، ويخالط المثقفين وأهل العلم، ولكنه كان لا يخفي تبرمه وتضجره من إقامته في مكان لاتلقى فيه أفكاره القبول والرضا. ومع ذلك فقد «كون لنفسه ثقافة واسعة عربية بحتة، جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره، وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة أجنبية» ، إلا أنه اطلع على آداب الغرب من خلال ماكانت تنشره الدور العربية من تلك الآداب والحضارات.

وفي سنة ١٩٢٧ م وفي شهر يونيو/ حزيران نال الشابي شهادة التطويع حيث أنهى دروسه في جامع الزيتونة. وفي العام التالي ١٩٢٨ م انتسب إلى المدرسة التونسية للحقوق ونال إجازتها سنة ١٩٣٠ م.[22]

نشاطه الأدبي

[21] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي. (بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى). ص: ٥ .

[22] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي. (بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م). ص: ٦

ذكرنا أن الشابي جمع ثقافة واسعة عربية من جهة، وغربية عن طريقة ما قرأه من ترجمات ونقول عن الأداب الغربية، لذلك تفتحت قرائحه الشعرية في سن مبكرة في حدود الثانية عشرة من عمره ومما يروى. في ذلك أن قصيدة "يا حب" التي نظمها سنة ١٩٢٣ م كانت من أوائل شعره. وكتب في الصفحة الأدبية لجريدة النهضة، كل اثنين سنة ١٩٦٢ هـ / ١٩٢٦ م. وظهر شعره مطبوعا ضمن كتاب "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر" سنة ١٣٦٦ هـ/١٩٢٧ م. وفي السنة ذاتها ألقى محاضرة في نادي قدماء الصادقية عنوانها "الخيال الشعري عند العرب"، كانت مادة الكتاب الذي حمل العنوان نفسه فيما بعد.[23]

صفاته

لابأس من ذكر صفاته الجسدية، إلى جانب صفاته الروحية والنفسية والخلقية، التي وصفها أقرب الناس إليه التصاقاً، بدأً بأشقائه، وانتهاءً بأدباء والشعراء الذين عاصرهم، وعرفوه عن قرب حق المعرفة خلقا و خلقا. ويقول شقيقه محمد أمين الشابي في كتاب "ديوان أبي القاسم الشابي" ما نصه في وصف أبي القاسم "نحيف الجسم، مديد القامة، قويّ بديهة، سريع الانفعال، حادّ الذهن، تكفكف رقة طبعه من عرب عاطفته وحدة ذهنه. يراه أصدقاؤه بشوشاً، كريما، وديعا، متأنفا، طروبا لمجالس الأدب، يحب الفكاهة الأدبية.[24]

وفاته

اشتد عليه المرض سنة ١٩٣٦ م، فتوجه إلى تونس العاصمة فنزل في المسفشفى الإيطالي في ٢٦ أغسطس آب بقي

---

[23] نفس المرجع ، ص : ٦ .

[24] عبد المجيد الحرّ، أبو القاسم الشابي كوكب السحر. (دار الكتب العلمية). ص: ٦٤ .

فيهاحتى توفي سحر يوم ٩ تشرين الأول _ أكتوبر ١٩٣٦ م، ونقل جثمانه إلى بلده توزر حيث دفن فيها.[25]

آثاره

تعود شهرة الشابي إلى ديوانه بالدرجة الأولى، ثم إلى كتابه الموسوم "والخيال الشعري عند العرب". ولكن بالإضافة إلى هذين الأثرين الكبيرين، فإن للشابي أعمالا أخرى نذكر منها:

١) قصة الهجرة النبوية، وقد نشرتها مجلة العالم في تونس.

٢) في المقبرة، وهي رواية.

٣) السكير، وهي مسرحية.

٦) مجموعة رسائل، توجه بها إلى أصدقائه ومنهم: البشروش، والحليوي، وأبو شادي، وإبراهيم ناجي وعلى ناصر، وآخرون.

٥) مذكرات، بدأ بتدوينها سنة ١٩٣٠ .

٦) الأدب العربي في العصر الحاضر، وهي دراسة أدبية قصيرة قدم بها ديوان "الينبوع" للشاعر أبي شادي.

٧) شعراء والمغرب، دراسة أعدها ليلقيها في النادي الأدبي، ولم يلقها فتركت مخطوطة.

٨) جميل بثينة، وقصص أخرى.

٩) صفحات دامية.

١٠) مقالات مختلفة.[26]

---

[25] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي. (دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى). ص: ٧ .

[26] نفس المرجع، ص: ٨ .

ديوانه

جمع الشابي ديوانه في صيف ١٩٣٦ م وسماه "أغاني الحياة" وقد رتبه بنفسه، واختار ما يريد من القصائد وأهمل البعض الآخر، وكان يعده بذلك للطبع، ولكن الموت منعه من ذلك، فتولى أخوه محمد الأمين الشابي تلك المهمة فنشر الديوان بإشراف أحمد زكي أبو شادي سنة ١٩٥٦ م. وتميزت تلك الطبعة بأنها التزمت الترتيب الذي كان ارتضاه الشاعر نفسه لقضائده، فلم يطرأ أي تعديل على ديوان، إلا بإضافة بعض قصائد لم يثبتها الشاعر. وهي: "نظرة في الحياة"، "أنشودة الرعد"، "في الظلام"، "أيها الليل"، "شعري"، "أيها الحب"، وأغنية الأحزان"، "جدول الحب".[27]

أغراض شعره

وأغراض الشابي، تنم عن نضج في الانفعال ، ونفاذ في البصيرة ، ودرجة من المعرفة والاطلاع ، مما لايتيسر لفتى في مثل عمره. فنضوج الشابي المبكر ، أعطى ثمار أغراض تحمل في جواهرها، كنه العبقرية ولمعة من لمعانها الخلاقة.[28]

الفصل الثاني

لمحة عن ديوان أبي القاسم الشابي بقافية الدال

قالت الباحثة فيما مضى إن أبي القاسم الشابي هو شاعر مشهور، عنده شعر كثير من أغراض متنوعة، منها الغزال والرثاء والأطلال وغيرهما. و وصف في شعره عن البرق

---

[27] نفس المرجع، ص: ٨ .

[28] عبد المجيد الحر، الاعلام من الأدباء والشعراء أبو القاسم الشابي. (بيروت: دار الكتب العلمية). ص: ٧٩

والمطر والخيل والصيد وغير ذلك. وكثير من شعره يوجد في كتاب ديوان أبي القاسم الشابي.

ديوان أبي القاسم الشابي هو كتاب للأستاذ أحمد حسن بسج. يعنى الكتاب الذي يشتمل على بعض شعر أبي القاسم الشابي المشهور وفيها أنواع من القافية.

أمّا القافية جمعها قوافي مأخوذة من كلمة قَفَا- يَقْفُوْ- قَفْواً- وَقْفُوًّا. لغة القافية بمعنى ورآء العنق.[29] وإصطلاحا، علم القافية هي آخر كلمة في البيت أو هي من آخر حرف ساكن فيه إلى أول ساكن يليه مع المحترك الذي قبل الساكن.[30] وفي المرجع الأخر أن القافية هي علم يعرف به أحوال أخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون ولزوم وجواز وفصيح وقبيح،[31] ونحوها توجد في ديوان أبي القاسم الشابي الأبيات بقافية الثاء، وتلك الأبيات:

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، لاَ تَصُدَّنَّكَ الـ # أَهْوَالُ، أَوْ تُقْزِعَنَّكَ الأَحدَاثُ (وْ)

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، كيفَمَا شاءَتِ الـ # دُنْيَا، ولاَ يخدعَنَّكَ النَّقَّاثُ (وْ)

فَالذِي يُرْهِبُ الحيَاةَ شَقِـ # ـيٌّ، سَخِرَتْ منْ مصيره الأحدَاثُ (وْ)

وفي هذه الرسالة ستبحث عن القافية الدال، وتلك الأبيات كما يلى:

حَدِيثُ المَقْبَرَة

---

[29] لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام. بيروت: دار المشرق. ١٩٩٨ م. ص: ٦٤٧

[30] نفس المرجع، ص: ٦٤٧

[31] حميد مسعي. علم عروض والقوافي. (سورابليا : مكتبة الإخلاص. ١٩٩٥ م). ص: ٦ .

أثْفِنِي ابتِسامَاتُ تلكَ الجُفُون # وَيَخْبُو توهُّجُ تلكَ الخُدُودْ؟

وَتَدْوِي وُرَيْدَاتُ تلكَ الشِّفاهِ؟ # وَتَهْوِي إلىَ التُّرْبِ تلكَ النُّهُودْ؟

وَيَنْهَدُّ ذاكَ القَوَامُ الرَّشِيقُ # وَيَنحَلُّ صَدْرٌ، بَديعٌ، وَجِيدْ[32]

إلى الموت

صَبِيَّ الحَيَاةِ، الشَّقِيُّ العَنِيدْ # ألاَ قَدْ ضَلَلْتَ الضَّلالَ البَعِيدْ

أتُنشِدُ صَوْتَ الحَياةِ الرَخِيمَ # وَأنتَ سَجِينُ بهذا الوُجُودْ

وَتَطْلُبُ وَرْدَ الصَّبَاحِ المخـ # ـضبَ مِن كَفَّ حَقْلٍ، جَديبٍ، حَصِيدْ[33]

قلب الشاعر

كُلُّ مَا هَبَّ، وَمَا دَبَّ، وَمَا # نَامَ، أوْ حَامَ عَلى هذا الوُجُودْ

مِن طُيُورٍ، وَزُهُورٍ، وَشَذِيٍّ # وينابِيعَ، وأغصانٍ تَميدْ

وَبحارٍ، وَكهوفٍ، ودُرِيٌّ # وبِرَاكينَ، وودِيانٍ، وَبِيدْ[34]

رثاء فجري

يَا أيُّهَا الغَابُ، المُنَمْـ # ـمَقُ بِالأشعَّةِ والوُرُودْ

يا أيُّهَـا النـُّورُ النَّقِيُّ # وَ أيُّهَـا الفجرُ البَعِيدْ

أينَ اختفيتَ؟ وماَ الَّذي # أقْصاكَ عن هذا الوُجُودْ[35]

---

[32] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي. (بيروت: دار الكتب العلمية). ص: ٥٠

[33] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي (بيروت: دار الكتب العلمية). ص: ٥٤

[34] نفس المرجع، ص: ٥٦

[35] نفس المرجع، ص: ٥٧

صيحة الحب

نَسْمَةٌ هبَّت على ضوء القَمَر # نَفَخَتْ في ناي أحزَان الخَلَدْ

ضاَقَ صَدْرِي، جراَهاَ، واستَعَرَ # وَأَرَاق الوَجْدَ آساَد الجَلَدْ

كَيفَ لي بِالصَّبر، وَالصَبرُ اندثَرْ # تَحتَ أقدام الجوى، لماَ اتَّقَدْ[36]

الأديب

إنَّ الأَدِيبُ كَزَهْرَة نفَاحَة # تعنُو إليهَا الصَادحَات وَتَسجدُ

بَلْ بِلبِل مَا بين أنْسَام المُنىَ # تلقاه صَدَّاح الصَدَّى يتغرَّدُ

تُشجِيه ذكرى مَجَد شعب باذخ # مَلأَ الفَضَاء تَلهُّباً لاَ يَخمَدُ[37]

المجد

يَوَدُّ الفَتىَ لو خَاضَ عَاصِفَةَ الرَّدَى # وصَدّ الخميسَ المَجرَ والأسَدَ الوَرْد

لِيُدْرِكَ أمجاَدَ الحُرُوبِ، وَلَوْ دَرَى # حَقِيقَتَهاَ ماَ رامَ مِن بَينَهاَ مَجَدْ

فَماَ المَجدُ في أن تُسْكِرَ الأرضُ بالدِّما # وَتَركَبَ في هَيجاَئها فَرساً نَهد[38]

---

[36] نفس المرجع، ص: ٥٨

[37] نفس المرجع، ص: ٥٩

[38] نفس المرجع، ص: ٦٠

صلوات في هيكل الحبّ

عَذْبَةٌ أنتِ كالطُّفولةِ، كالأحلامِ # كاللَّحنِ، كالصَّباحِ الجديدِ

كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ كالليلةِ القَمراءِ # كَالوُرُود، كَابتِسَامِ الوَلِيدِ

يا لهاَ من وَداَعةٍ وَجَمالٍ # وشَبَابٍ مُنعَّمٍ أُملُودِ[39]

قلت للشّعر

أنتَ يَا شِعرُ، فلذةٌ من فُؤادِي # تَتَغنىَ ، وَقِطعَةٌ من وُجُودِي

فيكَ مَا في جَوَانِحِي من حَنين # أبديَّ إلى صَميمِ الوُجُودِ

فيكَ ماَ في خَوَاطِرِي من بُكَاءٍ # فِيك ما في عَوَاطِفِي من نَشِيدِ[40]

طريق الهاوية

يا عَذَاري الجَمالِ، والحُبِّ، والأحلاَمِ # بَل يَا بَهَاءَ هذا الوُجُودِ

خُلِقَ البُلبلُ الجَمِيل ليَشدُو # وَخُلِقتُنَّ للغَرامِ السَّعيدِ

وَالوُجُودُ الرَحيبُ كالقَبْرِ، لولاَ # ما تُجَلِّينَ مِن قُطُوبِ الوُجُودِ[41]

الجمال المنشود

يَا عَذَاري الجَمالِ، والحُبّ، والأحلامِ # بَل يَا بَهَاءَ هَذا الوُجُودِ

---

[39] نفس المرجع، ٦٠

[40] نفس المرجع، ص: ٦٣

[41] نفس المرجع، ص: ٦٥

قَد رَأينَا الشُّعورُ مُنسَدِلاَتِ # كلّلتْ حُسنَهَا صباحُ الوُرودِ

وَرَأينَا الجُفُونَ تَبْسِمُ. .، أو تَحلُمُ # بالنُّورِ ، بالهَوَى، بالنَشِيدِ[42]

أحلام شاعر

لَيتَ لي أن أعيشُ في هذه الدُّنيَا # سَعِيداً بوَحدَتِي وَانفِرَادِي

أصرِفُ العُمرِ في الجَبَالِ، وَفي الغَابَاتِ # بَينَ الصَّنُوبَرِ الميّادِ

ليسَ لي من شَوَاغِلِ العِيشِ ما يَصرف # نَفْسِي عَنِ استِمَاعِ فُؤادِي[43]

أيّتها الحالمة بين العواصف

أنتَ كالزَّهرَةُ الجَمِيلةُ في الغَابِ، # وَلكِنْ مَا بَيْنَ شُوكٍ، وُدُودِ

والرِّيَاحينَ تُحسِبُ الحسك الشّرّيرِ # والدُودُ مِنْ صَنُوفِ الوُرُودِ

فَاقَّهَّمِي النَّاسَ ..، إنَّمَا النَّاسَ خُلُقٍ # مُفسِدُ في الوُجُودِ، غيرَ رَشِيدِ[44]

قال قلبي للاله

[42] نفس المرجع، ص: ٦٦

[43] نفس المرجع، ص: ٦٧

[44] نفس المرجع، ص: ٦٨

في جَبَالِ الهُمُوم، أنَبتّ أغْصَانِي # فَرَقّتُ بينَ الصُّخُورِ بِجَهدِ

وتَغَشّانِي الضَّبَابِ. ، فَأورَقّت # وَأزهَرَتُ لِلعَوَاصِفِ، وَحدِي

وتَمَايلتُ في الظَّلاَمِ، وعَطَّرَت # فَضَاءِ الأسَى بِأنفَاسِ وُردِي[45]

[45] نفس المرجع، ص: ٦٩